

الفصل الأول

مفهوم المنهج المدرسي

- * مفهوم المنهج التقليدي .**
- * النقد الموجه للمنهج التقليدي .**
- * العوامل التي أدت إلى تطور مفهوم المنهج .**
- * مفهوم المنهج الحديث .**
- * مفهوم المنهج بوصفه نظاماً .**
- * بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المنهج .**

الفصل الأول

مفهوم المنهج المدرسي

مفهوم المنهج التقليدي :

المنهج والمنهاج في اللغة ، لفظان مشتقان من النهج ، وهو الطريق الواضح ، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة ، ٤٨] أي طريقة واضحة . وعلى ذلك فالمنهج لغوياً يعني وسيلة محددة ، توصل إلى غاية معينة^(١) . وفي الميدان التربوي استُخدم مصطلح المنهج بمعنى لا يختلف - في جوهره - عن المعنى اللغوي السابق ، من حيث كونه وسيلة منظمة ومحددة ، تساعد في الوصول إلى غاية منشودة . وعند مراجعة الأدب التربوي نجد أن مفهوم المنهج المدرسي لدى المربين التقليديين كان مرادفاً للمعرفة ، دائراً في فلكها ؛ فالمنهج عندهم يمثل المقرر الدراسي الذي يدرسه المتعلم في أحد الصفوف الدراسية . وفي إطار هذا المضمون جاءت تعريفاتهم للمنهج بأنه مجموعة المقررات الدراسية التي يتولى المتخصصون إعدادها ، ويقوم المتعلمون بدراستها تحت إشراف المدرسة^(٢) .

والحق أن هذا المفهوم الضيق للمنهج - الذي يعني المقررات الدراسية - قد نبع من التربية التقليدية التي كانت ترى أن الهدف الأسمى للتربية { ينحصر في تزويد المتعلم بأكبر قدر ممكن من المعلومات ، بحسبان أن المعرفة لها قيمة في ذاتها ، وأن تزويد المتعلم بها يكفي وحده لتوجيه سلوكه بما يتفق مع مضمون هذه المعرفة . لذا جاء مفهوم المنهج مرادفاً للمعرفة . وانتشر هذا المفهوم التقليدي الضيق للمنهج ، وترسخت جذوره في كثير من الممارسات التربوية ، وظل يلعب دوراً كبيراً حتى عهد قريب ، بل ما يزال له أنصار يمارسونه عملياً في كثير من دول العالم ، وإن أخذوا نظرياً بالمفاهيم الحديثة للمنهج المدرسي .

النقد الموجه للمنهج التقليدي

وجه المربون للمنهج التقليدي كثيراً من الانتقادات والمآخذ ؛ فهم يرون أن تطبيق هذا المنهج ترك آثاراً سلبية سيئة في الميدان التربوي ، ألقت بظلالها على كل من الطالب والمعلم والمادة الدراسية والمدرسة والبيئة المحلية .

وفيما يلي نُجمل تلك السلبيات في هذه النقاط: (٣)

- (١) وجه المنهج المدرسي التقليدي اهتمامه إلى الجانب المعرفي في مستوياته الدنيا من تذكر وفهم ، وأغفل نواحي النمو الأخرى للمتعلم .
- (٢) أهمل المنهج التقليدي حاجات المتعلمين وميولهم ، وما بينهم من فروق فردية متعددة ؛ فما على الطلاب إلا أن يدرسوا المادة الدراسية المفروضة عليهم ؛ ويحفظوها .
- (٣) أغفل هذا المنهج دور القدوة والقيم التربوية في توجيه السلوك ؛ إذ يعتقد أنصاره أن تزويد المتعلمين بالمعارف يكفي وحده لتوجيه سلوكهم ، بما يتفق مع تلك المعارف ، وقد ثبت خطأ هذا الاعتقاد ؛ فالفرد لا يسلك في جميع الحالات وفقا لعلمه ومعرفته .
- (٤) قتل المنهج التقليدي إبداع المعلم وقيد حريته ؛ فهو لا يتحرك إلا في إطار ضيق لا يتجاوز شرح الدروس وتلقينها للمتعلمين الذين يظلون سلبيين ، ينفذون أوامر المعلم دون نقاش .
- (٥) اقتصر اختيار محتوى المادة الدراسية وتنظيمها . في كتب مدرسية . على المتخصصين والخبراء ، الذين لا يأخذون في حساباتهم وجهة نظر المعلمين والتلاميذ ، مما كان له أكبر الأثر في ضعف حماس المعلمين للتدريس ، وعزوف التلاميذ عن الدروس .
- (٦) تركزت عناية المعلمين . في ظل المنهج التقليدي . على النواحي النظرية داخل الفصول الدراسية ، واستبعدوا معظم الأنشطة المدرسية غير الصفية ، بل عدوها مضيعة للوقت ، صارفة للتلاميذ عن الحفظ الذي يترتب عليه النجاح في الامتحانات ، وهو الهدف الأسمى للتقويم في مفهوم المنهج التقليدي .
- (٧) انعزلت المدرسة عن الحياة ، واستغفلت طاقاتها في حفظ المعارف وتلقين الدروس التي قلما ترتبط بحياة التلاميذ وبيئتهم المحلية ، ولذلك لم تفلح المدرسة في إعداد هؤلاء للحياة والمشاركة في مجالات التقدم والتنمية التي يحتاج إليها المجتمع .

(٤) نتائج البحوث التي تناولت المنهج المدرسي القديم ، والتي أظهرت كثيراً من جوانب القصور والضعف التي تركت أثراً سلبية على العملية التعليمية ، فجُمِيع تلك العوامل أدت إلى إعادة النظر في المفهوم التقليدي الضيق للمنهج ، وجعلت التربويين يفكرون بجدية في إيجاد مفاهيم حديثة للمنهج تواكب تلك التطورات .

مفهوم المنهج الحديث

أدت تلك التحولات المتلاحقة إلى ظهور مفاهيم جديدة للمنهج المدرسي ، تختلف في مضمونها عن تلك المفاهيم التقليدية التي كانت سائدة آنذاك ، والتي لم تعد مناسبة للأدوار المتوقعة من التربية من جهة ، ولا منسجمة مع طبيعة الحياة المعاصرة وإيقاعها سريع التغير من جهة أخرى .

وفيما يلي نذكر ثلاثة من تلك المفاهيم الحديثة للمنهج المدرسي ، لنرى مدى التطور الذي حدث في مفهوم المنهج ومضمونه ، استجابة لتلك العوامل التي أشرنا إليها:

(١) المنهج هو جميع الخبرات المخططة التي تقدمها المدرسة لمساعدة التلاميذ على تحصيل مخرجات تعليمية محددة ، بأقصى ما تمكنهم قدراتهم^(٥) .

(٢) المنهج هو كل نشاط هادف تقدمه المدرسة وتنظمه وتشرف عليه ، وتكون مسئولة عنه ، سواء تم داخل المدرسة أو خارجها^(٦) .

(٣) المنهج هو مجموعة الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ داخلها وخارجها ، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل ، الذي يؤدي إلى تعديل سلوكهم ، ويضمن تفاعلهم مع بيئتهم ومجتمعهم ، ويجعلهم يبتكرون حلولاً مناسبة لما يواجههم من مشكلات.

بإمعان النظر في هذه التعريفات . ولا سيما الأخير منها . يمكن الخروج بملاحظات عديدة ، نذكر أهمها في الآتي :

(١) يتضمن المنهج - بمفهومه الحديث - خبرات تربوية مفيدة ، يتم تصميمها تحت إشراف المدرسة ، لإكساب المتعلمين مجموعة من المعلومات والمهارات والاتجاهات المناسبة في الحياة .

الفصل الاول

مفهوم المنهج المدرسي

(ب) تتنوع الخبرات التربوية بتنوع الجوانب التي ترغب المدرسة في إحداث النمو فيها ، ولا تركز على جانب واحد من جوانب النمو ، كما كان يحدث في المنهج التقليدي .

(ج) يحدث التعلم من خلال مرور المتعلم بخبرات متعددة ، ومشاركته في مواقف تعليمية متنوعة ، ولا يكون سلبياً في تلقيه المعرفة ، وإنما يصبح إيجابياً نشطاً متفاعلاً يسعى بنفسه للحصول على المعارف والمهارات المنشودة .

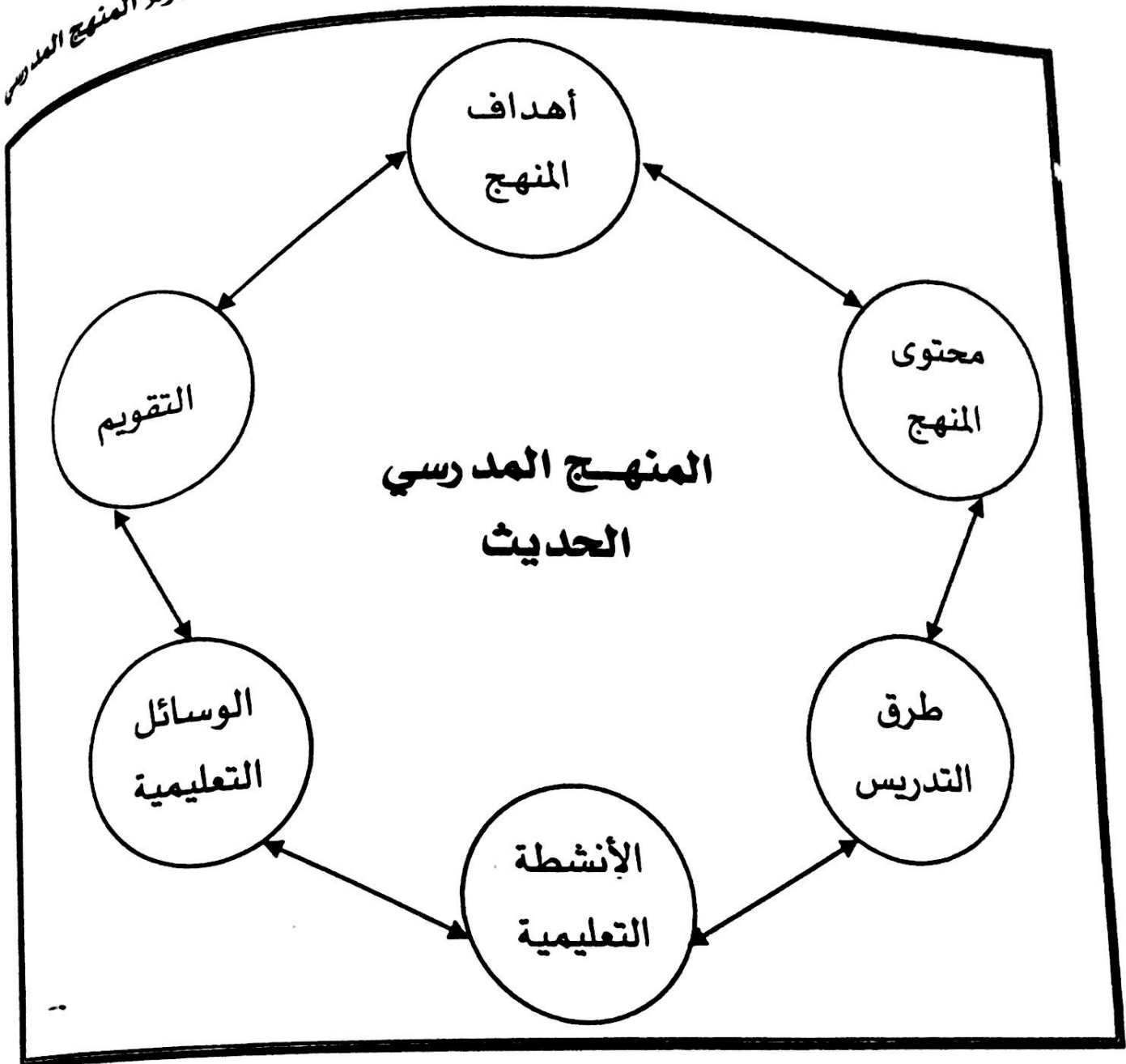
(د) لا تقتصر بيئة التعلم على حجرة الدراسة أو فناء المدرسة ، وإنما تمتد إلى خارجهما ؛ فتشمل المصنع والحقل والرحلة والمكتبة وغيرها مما يمثل بيئة مناسبة للتعليم .

(هـ) يسعى المنهج الحديث إلى إحداث النمو الشامل المتكامل للمتعلم ، والذي يؤدي إلى تعديل سلوكه ؛ أي إلى تعلمه ، وحصوله هذا التعلم تساعد على تفاعل المتعلم بنجاح مع بيئته ومجتمعه .

(و) وأخيراً يهدف المنهج الحديث إلى أن يُعْمَلَ المتعلمُ عقله ويبذل جهده في مواجهة المشكلات التي تعترض سبيله ، ويحاول ابتكار حلول مناسبة لها. وهذا يعني أن القيمة الحقيقية لما يكتسبه المتعلم من معارف ومهارات، إنما تتوقف على مدى استخدامه لها، وإفادته منها في المواقف الحياتية المختلفة .

وهكذا يتبين لنا أن المفهوم الحديث للمنهج المدرسي بدأ أكثر شمولاً وسعة من المفهوم التقليدي ؛ من حيث تنوع الخبرات المربية ، وتعدد جوانب النمو ، والعمليات العقلية المستهدفة ، ودور المعلم والمدرسة إزاء ذلك كله . مما يعني أن أهداف المنهج الحديث لا تقتصر على المعرفة فحسب ، وإنما تمتد لتشمل جميع جوانب المتعلم الأخرى المهارية والوجدانية . هذا ولا يقتصر المنهج بمفهومه الحديث الواسع على المقررات الدراسية ، وإنما يشتمل على مجموعة المكونات المترابطة التي يؤثر كل واحد منها في الآخر ويتأثر به ، وهي: الأهداف ، والمحتوى ، وطرق التدريس ، والوسائل التعليمية ، والأنشطة التعليمية ، والتقويم .

ولعل الشكل التالي^(١) يبرز مدى الترابط والتكامل الحادث بين مكونات المنهج المدرسي بمفهومه الحديث الذي نتبناه في هذا الكتاب .



شكل (١) مكونات المنهج المدرسي الحديث

مفهوم المنهج بوصفه نظاماً

إن تطبيق فكرة النظام في المنهج تجعلنا ننظر إلى المنهج على أنه بجميع مكوناته (نظام) متكامل ومتماسك، ذلك فإن جميع تلك المكونات يرتبط بعضها ببعض؛ فهي تعمل ككل متكامل، بحيث لا تتفصل الأهداف في المنهج عن المحتوى أو طرق التدريس أو النشاطات أو الوسائل أو أساليب التقويم. والمنهج بوصفه نظاماً يدخل عنصراً أساسياً في نظام أكبر هو التربية التي تعد جزءاً من نظام أكبر هو المجتمع. وعلى هذا يمكن تعريف النظام بأنه « مجموعة من المكونات أو الأعضاء

أو تطوير نوعية المواد التعليمية اللازمة ، أو إثراء الكتب المدرسية بالأنشطة والتمارين ، وكل هذه العناصر تخضع للمراجعة من أجل أن تصبح في أفضل صورة ممكنة لبلوغ المخرجات المطلوبة .

وتلخيصاً لمكونات البرامج السابقة ، يمكن أن نُعدّ الأهداف والمحتوى والوسائل التعليمية والمباني والتجهيزات المدرسية والمتعلمين والمعلمين ونحو ذلك ، (مدخلات) المنهج ، ونعد ما يقوم به المدرس وأدوار وأساليب تدريسية ، وما تنظمه المدرسة من نشاطات وما تهيئه من ظروف للتعليم ونمطه أي إنجاز الأهداف . أما التغذية المنهج ، فتتمثل فيما يحققه المتعلمون من تعلم ونمو ، وذلك بطريقها يتم فحص مخرجات الراجعة فتُلعَب . في إطار منظومة المنهج . دوراً مهماً ؛ إذ تُستخدم طرقها يتم فحص مخرجات المنهج من حين إلى آخر ، ولإجراء التعديلات المطلوبة ، فمن تحسين المخرجات (٩) ؛ كأن يتم إكساب المعلمين مهارات معينة ، أو تدريب الموجهين والمديرين على أدوار ومهام محددة ، أو إعداد كتب مدرسية ذات مواصفات حديثة ، إلى غير ذلك من إجراءات .

بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المنهج

بقي . في نهاية هذا الفصل . أن نوضح بعض المفاهيم ذات العلاقة بالمنهج المدرسي ، والتي يحدث فيها خلط كبير في الوسط التربوي . ومن أهم تلك المفاهيم : المنهج الرسمي والخفي ، المقرر ، المحتوى ، الكتاب ، الخبرة . وفيما يلي بيان لكل منها :

(١) المنهج الرسمي والخفي :

غني عن البيان أن المتعلمين يكتسبون مجموعة من الخبرات المربية (المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك) من خلال المنهج المدرسي المعلن الذي تحدثنا عن مفهومه ومكوناته فيما سبق ، إلا أن قدراً يسيراً أو كثيراً من تلك الخبرات يتم اكتسابه من مصادر غير المنهج المدرسي الرسمي أو المخطط له . وهذا النوع من المناهج يُسمَّى بالمنهج الخفي ، أو غير الرسمي (Hidden Curriculum) . وهو منهج بدأ الاهتمام به في منتصف الستينيات من القرن الميلادي السابق ، بهدف الكشف عن الدور الخفي الذي تقوم من خلاله المدرسة بفرس القيم لدى الطلاب بدون قصد وتخطيط (١٠) .

وعلى ذلك يمكن تعريف المنهج الخفي بأنه (تلك الممارسات والمهارات والاتجاهات والقيم وأنماط التفكير التي يكتسبها المتعلم داخل المدرسة ، من دون قصد وتخطيط ، نتيجة الاحتكاك المباشر بالبيئة المدرسية) (١١) .

(٢) المقرر :

هو موضوعات رئيسية وفرعية يتم اختيارها من بين المعارف المتضمنة في المصادر العلمية المتاحة في ضوء معايير محددة هي أهداف المنهج .

(٣) المحتوى :

يعني المعالجة التفصيلية لموضوعات المقرر ، وهو يشتمل عادة على حقائق ومعارف ومفاهيم وتعميمات ومبادئ ونظريات ؛ أي أنه يتضمن نواحي معرفية عديدة تعكس جزءاً أو أجزاء من البنية المعرفية لعلم ما ، أو لعدد من العلوم ، وهذا المحتوى قد يتم تنظيمه في شكل أو آخر ليلائمه مستوى دراسياً معيناً .

(٤) الكتاب :

هو ذلك الوعاء الذي يضم المحتوى الدراسي للمادة ، وما يصاحبها من وسائل تعليمية وأنشطة وأساليب تقويم مختلفة ، وقد يتضمن الكتاب مقدمة للمتعلم ، وفهرساً يعرض المقرر بشكل موجز ، وقائمة بالمصطلحات والمفردات غير المألوفة للمتعلمين .

(٥) الخبرة :

هي موقف تربوي يتضمن معارف ومهارات واتجاهات وقيماً معينة ، وتتم فيه عمليتا التعليم والتربية معاً^(١٢) . أو هي . كما يذكر رالف تايلور (Ralph W. Tyler) مفهوم يشير إلى التفاعل بين المتعلم والظروف الخارجية في البيئة التي يستجيب إليها . وهذا يعني أن التعلم يحدث عن طريق سلوك التلميذ النشط؛ فهو يتعلم على نحو أفضل بما يعمل به ، وليس بما يؤديه المعلم^(١٣) .